

النفخ في الصور

النفخ في الصور

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُفِخُ فِي الصُّورِ فَصُعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].
نلاحظ في هذه الآية أمرين:

الأول: أن الله سبحانه وتعالى استثنى من الصاعقة التي سنحدث في الآخرة، فكان هناك من لن تصيبهم الصاعقة!

الثاني: قُدِّمَ النظر في هذه الآية على السمع، وهذه هي المرة الوحيدة في القرآن الكريم التي قدم فيها النظر على السمع، فالله سبحانه وتعالى في كل آيات القرآن التي تحدثت عن السمع والبصر كان يأتي بالسمع قبل البصر كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [النحل: ١٧٨]. ولكن في هذه الآية وحدها قدم سبحانه النظر على السمع.

إن الاستثناء في آية الصاعقة سببه أن هناك من خلق الله تعالى من صعقوا من قبل، والله تعالى أرحم وألطف وأعدل من أن يجمع على بعض خلفه صعقتين، والبعض الآخر صعقة واحدة.

ولذلك فكل من أصيبوا بالصاعقة من قبل فلن يصابوا بالصاعقة مرة أخرى، فمثلاً موسى عليه السلام صعق في الدنيا عندما طلب أن يرى الله جهرة، مصداقاً لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيهِ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيهِ فَلَمَّا تَخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوَدَّتًا سَاجِدًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ولذلك فإن موسى لن يصاب بالصاعقة مرة أخرى، وكذلك الجبل الذي تجلى له الله سبحانه وتعالى فأصيب بالصاعقة فكان ﴿دَكًّا﴾، وكذلك أولئك النفر من قوم موسى الذين صعقوا قبل ذلك، وقال عنهم القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ إِنَّ لَكَ حَتَّىٰ رَأَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الضَّيْقَةُ وَأُنْشِرَ نَظِيرُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَيْنِ مَوَدَّتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [البقرة: ٥٩، ٦٠].

وهناك من أخذتهم الصاعقة من قوم عاد وثمود، فهؤلاء أصابتهم الصاعقة، ولذلك فإن كل من صعقوا لن تصيبهم الصاعقة مرة أخرى، وهذا المعنى هو ما نفهمه من قول الحق: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^(١١). على أن ذلك لا يعني أنه ليس لله

(١١) قال القرطبي: واختلف العلماء في المستثنى: من هو؟ فقيل الملائكة. وقيل الأنبياء. وقيل الشهداء واختاره الحلبي، قال: وهو مروى عن ابن عباس أن الاستثناء لأجل الشهداء. فإن الله تعالى يقول: ﴿لِلْحَيَاءِ عِندَ رَبِّهِمْ يُؤْتُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩) وضعف غيره من الأقوال على ما يأتي، وقال شيخنا أبو العباس: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح، والكل محتمل.

قلت - أي القرطبي -: قد ورد حديث أبي هريرة بأنهم الشهداء، وهو الصحيح. وأسند النحاس في كتاب معاني القرآن له عن سعيد بن جبير في قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قال: هم الشهداء، هم ثنية الله عز وجل مظلذو السيوف حول العرش. وقال الحسن: استثنى طوائف من الملائكة يموتون بين التفخيتين. قال يحيى بن سلام في تفسيره: بلغني أن آخر من يبقى منهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل. ثم يقول الله عز وجل لملك الموت: مت فيموت. وقد جاء هذا مرفوعاً في حديث أبي هريرة الطويل على ما يأتي.

وقيل: هم حملة العرش، وجبريل، وميكائيل، وملك الموت. وقال الحلبي: من زعم أن الاستثناء لأجل حملة العرش أو جبريل وميكائيل وملك الموت، أو زعم أنه لأجل الولدان والحوار العين في الجنة، أو زعم أنه لأجل موسى فإن النبي ﷺ قال: «أنا أول من تشق عنه الأرض فأرفع رأسي فإذا موسى متعلق بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله عز وجل؟»^(١٢) فإنه لم يصح شيء منها. أما الأول: فإن حملة العرش ليسوا من سكان السموات والأرض لأن العرش فوق السموات كلها فكيف يكون حملته في السموات؟

وأما جبريل وميكائيل وملك الموت فمن الصائفين المسبحين حول العرش. وإذا كان العرش فوق السموات لم يكن الاصطفاف حوله في السموات. وكذلك القول الثاني لأن الولدان والحوار في الجنة. والجنات؟ وإن كان بعضها أرفع من بعض فإن جميعها فوق السموات ودون العرش، وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء، فلا شك أنها يعزل عما خلق الله تعالى للفناء.

وصرفه إلى موسى فلا وجه له لأنه قد مات بالحقيقة فلا يموت عند نفخ الصور ثانية ولهذا لم يعتد في ذكر اختلاف المتأولين في الاستثناء بقول من قال: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، أي:

(١٢) أخرج مسلم [٢٣٧٣/١٦٠] عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... لا تخبروني على موسى فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق». فإذا موسى باطش بجانب العرش. فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله...»

سبحانه وتعالى طلاقة القدرة، فالله له طلاقة القدرة يفعل ما يشاء متى شاء .

= الذين سبق موتهم قبل نفخ الصور . لأن الاستثناء إنما يكون لمن يمكن دخوله في الجملة فأما من لا يمكن دخوله في الجملة فيها فلا معنى لاستثناءه منها، والذين ماتوا قبل نفخ الصور ليسوا بغرض أن يصعقوا . فلا وجه لاستثناءهم . وهذا في موسى موجود فلا وجه لاستثناءه .

وقال النبي ﷺ في ذكر موسى ما يعارض الرواية الأولى وهو أن قال : «الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق . فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش . فلا أدري أفاق قبلي أو جوزي بصعقة الطور؟»^(١) فظاهر هذا الحديث : أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور .

وصرف ذكر يوم القيامة إلى أنه أراد أوائله قيل : المعنى : أن الصور إذا نفخ فيه أخرى كنت أول من يرفع رأسه، فإذا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أو جوزي بصعقة الطور؟ أي . فلا أدري أبعثه قبلي كان وهباً له وتفضيلاً من هذا الوجه كما فضل في الدنيا بالتكليم، أو كان جزاء له بصعقة الطور؟ أي قدم بعثه على بعث الأنبياء الآخرين بقدر صعقته عندما تجلى ربه للجبل إلى أن أفاق ليكون هذا جزاء له بها . وما عدا هذا فلا يثبت .

قال شيخنا أحمد بن عمر : وظاهر حديث النبي ﷺ يدل على أن ذلك إنما هو بعد النفخة الثانية؛ نفخة البعث ونص القرآن يقتضي أن ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق . ولما كان هذا قال بعض العلماء : يحتمل أن يكون موسى عليه السلام، ممن لم يموت من الأنبياء . وهذا باطل بما تقدم من ذكر موته .

وقال القاضي عياض : يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فرع بعد النشر حين تنشق السموات والأرض، قال : فتستقل الأحاديث والآيات والله أعلم .

قال شيخنا أبو العباس وهذا يرده ما جاء في الحديث أنه عليه السلام حين يخرج من قبره يلقي موسى وهو متعلق بالعرش وهذا إنما هو عند نفخة البعث .

قال شيخنا أحمد بن عمر : والذي يزيج هذا الإشكال . إن شاء الله تعالى : أن الموت ليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك : أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا في الشهداء، كان الأنبياء بذلك أحق وأولى، مع أنه قد صح عن النبي ﷺ : «أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء» وأن النبي ﷺ قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، وفي السماء، وخصوصاً بموسى وقد أخبرنا النبي ﷺ بما يقتضي أن الله تبارك وتعالى يرد عليه روحه حتى يرد السلام على كل من يسلم عليه، إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غُيِّبوا عنا بحيث لا ندرِكهم وإن =

(١) أخرجه البخاري [٢٤١١]، ومسلم [٢٣٧٣/١٦٠] عن أبي هريرة رضى الله عنه .



= كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامة من أوليائه. وإذا تقرر أنهم أحياء فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق ضُعن كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فأما صعق غير الأنبياء فموت. وأما صعق الأنبياء، فالأظهر: أنه غشية.

فإذا نفخ في الصور نفخة البعث، فمن مات حياً ومن غشي عليه أفاق. وكذلك قال ﷺ في صحيح مسلم والبخاري: «أأكون أول من يفيق»^(١) وهي رواية صحيحة وحسنة فنبينا ﷺ أول من يخرج من قبره قبل الناس كلهم قبل الأنبياء وغيرهم إلا موسى فإنه حصل له فيه تردد: هل بُعث قبله من غشيت أو بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق مقيماً؛ لأنه حوسب بغشية الطور؟ وهذه فضيلة عظيمة في حق موسى عليه السلام. ولا يلزم من فضيلة أحد الأمرين المشكوك فيهما فضيلة موسى عليه السلام على محمد ﷺ مطلقاً، لأن الشيء الجزئي لا يوجب أمراً كلياً. والله أعلم.

التذكرة (١/ ١٩٧: ١٩٩).

النفخ في الصور في القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتُفْجَعُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ كُلُّ أُنْفُثَةٍ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُ جَٰمِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ لِذِي الْإِنْفِ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُمْ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنِيعَةٍ يُنظَرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَمْرَئَاتِ الْأَرْضِ بِئُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالشَّاتِئِينَ وَالشَّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَظْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَلِيقُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا بَنُوْنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [إسراء].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿١١١﴾ فَمَنْ نَّكَثَ أَمْرَئَهُمُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٢﴾ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿... وَنُفِخَ فِي الصُّورِ لِمَجْعَتِهِمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرْضًا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيُجِلُّ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تَعْرَشُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَنَهِيٌّ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [اف].

وقال تعالى: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِيذٍ زُرْقًا﴾ [احه: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيَّحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي النُّفُورِ ۚ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)﴾ [المدثر].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «النافور»: الصور. ذكره البخاري في صحيحه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧)﴾ [النازعات].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «الرجفة»: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية. ذكره البخاري في صحيحه^(١).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَافَةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبِهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِيهِ (٣٧)﴾ [عبس].

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَافَةُ﴾: لعله اسم للنفخة في الصور.

وقال البغوي في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَافَةُ﴾ يعني: صيحة القيامة، سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع؛ أي: تبلغ في إسماعها حتى تكاد تصمها.

(١) أخرج البخاري [٢٣٨٨/٥ - باب ٤٣ - النفخ في الصور] وقال ابن عباس: «النافور: الصور»، الراجفة: «النفخة الأولى». والرادفة: «النفخة الثانية».

حديث جامع في التفخ في الصور والبعث والنشور

ذكر عبد الله بن أحمد في زوائد المسند أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق .

قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ لانسلاخ رجب فأتينا رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً، فقال : «أيها الناس! ألا إني قد خبات لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعكنم، ألا فهل من امرئ بعثه قومه؟

فقالوا: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ، ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال، ألا إني مسؤول: هل بلغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا، ألا اجلسوا» .

قال: فجلس الناس، وقمت أنا وصاحبي، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره؛ قلت: يا رسول الله! ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله، وهز رأسه وعلم أنني أبتغي لِسْقَطِهِ . فقال:

«ضُنُّ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله - وأشار بيده - .

قلت: وما هي؟

قال: «عِلْمُ الْمُنْيَةِ؛ قد علم منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المنى حين يكون في الرحم؛ قد علمه ولا تعلمونه، وعلم ما في غده؛ قد علم ما أنت طاعم غداً ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم آزالين آزالين مشفقين، فيظل يضحك، قد علم أن يغيركم إلى قُزْبٍ» .

قال لقيط: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً. «وعلم يوم الساعة» .

قلت: يا رسول الله! علمنا مما تعلم الناس وما تعلم؛ فإننا من قبيل لا

يصدقون تصديقنا أحد؛ من مذبح التي تَرْبًا علينا، وختمهم التي نوالينا، وعشيرتنا التي نحن منها.

قال: «تلبثون ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم ﷺ، ثم تلبثون ما لبثتم، ثم تبعث الصائحة، لعمر إلهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات، والملائكة الذين مع ربك عز وجل، فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض، وخلت عليه البلاد، فأرسل ربك عز وجل السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إلهك؛ ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تجعله من عند رأسه، فيستوي جالساً، فيقول ربك: مَهْنِم، لما كان فيه.

يقول: يا رب! أمس، اليوم. ولعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله.

فقلت: يا رسول الله، كيف يجمعنا بعدما تَمَزَقْنَا الرياح والبلى والسباع؟! قال: «أُنْبِثُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلاءِ اللَّهِ؛ الْأَرْضُ أَشْرَفَتْ عَلَيْهَا وَهِيَ مَدْرَةٌ بِالْبَيْتِ، فقلت: لا تحيا أبداً، ثم أرسل ربك عز وجل عليها السماء، فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أَشْرَفَتْ عَلَيْهَا وَهِيَ شَرْبَةٌ وَاحِدَةٌ، ولعمر إلهك؛ لهُوَ أَقْدَرُ عَلَى أَنْ يَجْمَعَهُمْ مِنَ الْمَاءِ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ نَبَاتِ الْأَرْضِ، فيخرجون من الأضواء ومن مصارعهم، فينتظرون إليه وينظر إليكم».

قال: قلت: يا رسول الله! وكيف ونحن ملء الأرض، وهو شخص واحد ننظر إليه وينظر إلينا؟! قال: «أُنْبِثُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلاءِ اللَّهِ عز وجل، الشمس والقمر آية منه صغيرة، ترونها ويريانكم ساعة واحدة، لا تضارون في رؤيتهما، ولعمر إلهك؛ لهُوَ أَقْدَرُ عَلَى أَنْ يَرَاكُمْ وَتَرَوْنَهُ مِنْ أَنْ تَرَوْنَهُمَا وَيَرِيَانَكُمْ، لا تضارون في رؤيتهما».

قلت: يا رسول الله! فما يفعل بنا ربنا عز وجل إذا لقيناه؟ قال: «تعرضون عليه بادية له صفحاتكم، لا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء، فينضح قبيلكم بها، فلعمر إلهك؛ ما تخطئ وجه أحدكم منها قطرة، فأما المسلم؛ فتدع وجهه مثل الرُّبْطَةِ الْبَيْضَاءِ، وأما الكافر؛ فتخطمه بمثل الحميم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم ﷺ، ويفترق على إثره الصالحون، فيسلكون جسراً من النار فيطأ أحدكم الجمر، فيقول: حس، يقول ربك عز وجل أو أنه.

ألا فتظلمون على حوض الرسول على أظلم - واللّه - ناهية قط ما رأيتها؛ فلعمر إلهك؛ ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليه قدح يظهره من الطوف والبول

والأذى، وتحبس الشمس والقمر ولا ترون منهما واحداً». قال: قلت: يا رسول الله! فبم نبصر؟

قال: «بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك قبل طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض واجهت به الجبال».

قال: قلت: يا رسول الله! فبم نجزي من سيئاتنا وحسناتنا؟

قال: «الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها؛ إلا أن يعفو».

قال: قلت: يا رسول الله! أما الجنة وأما النار؟

قال: «لعمرك إلهك؛ إن للنار لسبعة أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً، وإن للجنة لثمانية أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً».

قلت: يا رسول الله، فعلام نطلع من الجنة؟ قال: «على أنهار من غسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وبفاكهة لعمرك إلهك ما تعلمون، وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة».

قلت: يا رسول الله، أولنا فيها أزواج، أو منهن مصلحات؟ قال: «الصالحات للصالحين، تلذذونهم مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذذونكم بكم غير أن لا توالد».

قال لقيط: فقلت: أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه؟ فلم يجبه النبي

ﷺ.

قلت: يا رسول الله! علام أباعك؟ قال: فبسط النبي ﷺ يده، وقال: «على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وزيل المشرك، وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره».

قلت: وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النبي ﷺ يده، وظن أنني مشروط شيئاً لا يعطينيه.

قال: قلت: نحل منها حيث شئنا، ولا يجني امرؤ إلا على نفسه، فبسط يده، وقال: «ذلك لك، تحل حيث شئت، ولا يجني عليك إلا نفسك».

قال: فأنصرفنا عنه، ثم قال: «إن هذين لعمرك إلهك من أتقي الناس في الأولى والآخرة».

فقال له كعب بن الخُدَاريَّة أحد بني بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟
قال: «بنو المستنق أهل ذلك».

قال: فانصرفنا، وأقبلت عليه، فقلت: يا رسول الله، هل لأحد مَثَن مَضَى
من خير في جاهليتهم؟

قال: قال رجل من عرض قريش: والله! إن أباك المستنق لفي النار.

قال: فلكانه وقع حر بين جلدي ووجهي ولحمي مما قال لأبي على رؤوس
الناس، فهممت أن أقول: وأبوك يا رسول الله؟ ثم إذا الأخرى أجمل.

فقلت: يا رسول الله! وأهلك؟ قال: «وأهلي، لعمر الله! ما أتيت عليه من
قبر عامري أو قرشي من مشرك؟ فقل: أرسلني إليك محمد؛ فأبشرك بما
يسوءك؛ تجر على وجهك وبطنك في النار».

قال: قلت: يا رسول الله! ما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا
يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبون أنهم مصلحون؟

قال: «ذلك لأن الله عز وجل بعث في آخر كل سبع أمم - يعني -: نبياً،
فمن عصى نبيه؛ كان من الضالين، ومن أطاع نبيه؛ كان من المهتدين»^(١).

شرح غريب الحديث، قال العلامة حمود التويجري:

وقوله: «بشرف عليكم آزلين»: قال ابن الأثير: الأزل: الشدة والضيق،
وقد أزل الرجل يأزل أزلاً؛ أي: صار في ضيق وجذب.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على حديث أبي رزين رضي الله

(١) رواه أحمد في المسند [١٣/٤]، ورواه أيضاً في كتاب السنة [٩٥١]، والطبراني بنحوه.
قال الهيثمي [٣٤٠/١٠]: وأحد طريقتي عبد الله إسناده متصل ورجالها ثقات، والإسناد
الآخر وإسناد الطبراني مرسل من عاصم لقبط أن لقيطاً...، وذكره الألباني في الصحيحة
[٢٨١٠] وحسنه بعد وقوفه على طريقته، وقال رحمه الله تعالى عليه: «والخلاصة أن
الحديث بمجموع الطريقين حسن عندي ولعله الذي يعنيه ابن تيمية بقوله: حديث حسن،
في العفيدة الواسطية بخلاف ابن القيم فقد صحح الحديث بطوله في زاد المعاد في الوفود
وقال: هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة
النبوة. وقد خالف الأرناؤوط ذلك في تعليقه على المسند [١٢٨/٢٦] وقال: إسناده
ضعيف، مسلسل بالمجاهيل، ووصف تحسين الشيخ الألباني له بأنه تساهل غير مرضي
عند الحذاق في هذا الفن.

عنه: الأزل؛ يسكون الزاي: الشدة، والأزل على وزن كَتِف: هو الذي قد أصابه الأزل واشتد به حتى كاد يقط ١. هـ.

وقوله: «وقد علم أن غَيْرَكُمْ إلى قرب»: «الغَيْر» بكسر الغين وفتح الياء: تغير الحال وانتقالها من القحط والجذب إلى نزول الغيث وخروج النبات من الأرض.

وقوله: «ثم تبعث الصائحة» أي: النفخ في الصور؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّصُونَ﴾ [يس: ٤٥].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: ثم تبعث الصائحة: هي صيحة البعث ونفخته.

قلت: وفي هذا نظر؛ لأن النبي ﷺ قال: «ثم تبعث الصائحة، لعمر إلهك؛ ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات». وهذا صريح في أن الصيحة صيحة الصعق لا صيحة البعث. والله أعلم.

وقوله: «تهضب»: قال ابن الأثير: أي: تمطر، ويجمع على أهصاب ثم أهاضب؛ كقول وأقوال وأقاويل.

وقوله: «حتى تخلفه من عند رأسه»: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده شبه النشأة الأخرى بعد الموت بإخلاف الزرع بعدما حصد، وتلك الخلفة من عند رأسه كما ينبت الزرع ١. هـ.

ويقال: أخلف الأراك والسلم إذا أخرج الخلفة، وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في الصيف، وأخلف الخزامى؛ أي: طلعت خلفته من أصوله بالمطر.

وقوله: «فيستوى جالساً»: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذا عند تمام خلقته وكمال حياته، ثم يقوم بعد جلوسه قائماً، ثم يساق إلى موقف القيامة إما راكباً وإما ماشياً ١. هـ.

وقوله: «فيقول ربك مهيم» أي: ما الأمر والشأن؟

قال ابن الأثير: وهي كلمة يمانية، ومنه حديث لقيط: فيستوى جالساً، فيقول: رب مهيم.

وقوله: «في آلاء الله»: قال ابن الأثير: الآلاء: النعم. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: آلاؤه: نعمه وآياته التي تُعَرَّف بها إلى عباده ١. هـ.

وقوله: «وهي مدرة بالية» أي: تراب يابس.

وقوله: «شربة واحدة» قال ابن الأثير: الشربة؛ بفتح الراء: حوض يكون في أصل النخلة وحولها، يملأ ماء لتشربه، ومنه حديث لقيط: «ثم أشرفت عليها وهي شربة واحدة». وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «الشربة؛ بفتح الراء: الحوض الذي يجتمع فيه الماء، وبالسكون: الحنطة؛ يريد أن الماء قد كثُر، فمن حيث شئت تشرب، وعلى رواية السكون يكون قد شبه الأرض في خضرتها بالنبات بخضرة الحنطة واستوائها ١. هـ.

وقوله: «فنخرجون من الأصواء»: قال ابن الأثير: «الأصواء: القبور، وأصلها من الصوى: الأعلام، فشبّه القبور بها».

وقوله: «لا تضارون في رؤيتهما»: قال ابن الأثير: يروى بالتشديد والتخفيف؛ فالتشديد بمعنى: لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر إليه لوضوحه وظهوره، يقال: ضارّه يضارّه؛ مثل: ضرّه يضرّه.

وقال الجوهري: يقال: أضرتني فلان إذا دنا مني دنواً شديداً، فأراد بالمضارة: الاجتماع والازدحام عند النظر إليه، وأما التخفيف؛ فهو من الضير لغة من الضر، والمعنى فيه كالأول.

وقوله: «مثل الرّيطة البيضاء»: قال ابن الأثير: الرّيطة: كل ملاءة ليست بلغقين، وقيل: كل ثوب رقيق لين، والجمع: زيطٌ ورياط.

وقوله: «بمثل الحُمم الأسود»: قال ابن الأثير: الحُممة: الفحمة، وجمعها حُمم.

وقوله: «ثم ينصرف نبيكم»: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذا انصراف من موقف القيامة إلى الجنة.

وقوله: «ويفرق على أثره الصالحون». قال ابن القيم: أي: يفرعون ويمضون على أثره ١. هـ.

وقوله: «فيسلكون جسراً من النار». الجسر: هو الصراط المنصوب على متن جهنم.

وقوله: «فيقول: حسّ»: قال ابن الأثير: هي بكسر السين والتشديد، كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضى وأحرقه غفلة؛ كالجمرة، والضربة، ونحوهما ١. هـ. قال الأصمعي: وهي مثل أوه.

وقوله: «يقول ربك عز وجل: أو أنه»: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: قال ابن قتيبة: فيه قولان: أحدهما أن يكون «أنه» بمعنى نعم، والآخر أن يكون الخبر محذوفاً، كأنه قال: أنتم كذلك، أو أنه على ما تقول ١. هـ.

وقوله: «على أظماً ناهلة فط»: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الناهلة: العطاش الواردون الماء؛ أي: يردونه أظماً ما هم عليه، وهذا يناسب أن يكون بعد الصراط؛ فإنه جسر النار، وقد وردوها كلهم، فلما قطعوه؛ اشتد ظمأهم إلى الماء، فوردوا حوضه ﴿٢٠﴾ كما وردوه في موقف القيامة انتهى.

وقوله: «ويطهره من الطؤف»: قال ابن الأثير: الطؤف: الحدث من الطعام، والمعنى: أن من شرب تلك الشرية طهر من الحدث والأذى. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: الطؤف: الغائط، وفي الحديث: «لا يصلي أحدكم وهو يدافع الطؤف والبول»^(١) ١. هـ.

وقوله: «وتحبس الشمس والقمر»، وفي بعض الروايات: «وتخنس الشمس والقمر». قال ابن القيم رحمه الله تعالى: أي: يختفيان ويحبسان ولا يريان، والانحناس: التواري والاختفاء، ومنه قول أبي هريرة: «فانحنست منه» ١. هـ.

وقوله: «وزيال المشرك»: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: أي: مفارقتة ومعاداته، فلا يجاوره ولا يواليه؛ كما جاء في الحديث الذي في «السنن»: «لا تراءى ناراهما»؛ يعني: المسلمين والمشركين ١. هـ.

من فوائد الحديث:

قال العلامة النووي: وإذا علم أن حديث أبي رزين لا مطعن فيه بوجه من الوجوه؛ فليعلم أيضاً أنه قد اشتمل على ثلاث وأربعين فائدة مهمة، منها ما يشهد له القرآن والأحاديث الصحيحة، ومنها ما يشهد له القرآن فقط، ومنها ما يشهد له الأحاديث الصحيحة فقط:

١ - أن رسول الله ﷺ مسؤول يوم القيامة عن تبليغ الرسالة.

٢ - الرد على الذين يدعون علم المغيبات في المستقبل، وربما ادعى بعضهم علم

(١) وروى أحمد في المسند [٤٤٢/٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقوم أحدكم إلى الصلاة وبه أذى» يعني: البول والغائط. وقال الأرناؤوط: صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد ضعيف.

ما يكون بعد ملايين السنين، فيصدفه الجهال وينشرون كذبه وجهله في جرائدهم ومجلاتهم.

٣ - إثبات صفة الضحك لله تعالى، والذي عليه أهل السنة والجماعة إثبات صفة الضحك لله تعالى كما يليق بجلاله.

٤ - ذكر الصائحة، وهي النفخ في الصور.

٥ - جواز الإقسام بصفات الله تعالى، وانعقاد اليمين بها.

٦ - ذكر موت الخلق إذا نفخ في الصور، وموت الملائكة أيضاً.

٧ - إثبات انفراد الله تعالى بالبقاء بعد موت الخلق.

٨ - ذكر إرسال المطر من عند العرش لينبت منه الخلق.

٩ - إثبات البعث بعد الموت.

١٠ - إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يخوضون^(١) في دقائق المسائل، ويسألون النبي ﷺ عما أشكل عليهم.

١١ - ذكر الدليل على إحياء الموتى وجمعهم بعد التفرق، وضرب المثل لذلك بإحياء الأرض بعد موتها.

١٢ - ١٣ إثبات القياس في أدلة التوحيد والمعاد، وأن حكم الشيء حكم نظيره.

١٤ - إثبات رؤية الله تعالى في الدار الآخرة، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

١٥ - إثبات صفة النظر لله عز وجل.

١٦ - إطلاق الشخص على الله تعالى. قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على حديث أبي رزين رضي الله عنه:

وقوله: «كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد؟!» قد جاء هذا في هذا الحديث وفي قوله في حديث آخر: «لا شخص أغير من الله».

١٧ - أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى.

١٨ - إثبات العرض على الله يوم القيامة.

١٩ - إثبات صفة اليد لله تعالى.

(١) خاض القوم في الحديث خوضاً: تفاوضوا فيه.

- ٢٠ - إثبات صفة الفعل لله تعالى .
- ٢١ - تبييض وجوه المسلمين يوم القيامة وتسويد وجوه الكافرين .
- ٢٢ - إثبات الصراط ومرور الخلق عليه .
- ٢٣ - إثبات كلام الرب تبارك وتعالى لمن شاء في الدار الآخرة .
- ٢٤ - تطهير أهل الجنة من الطُوف - وهو الغائط - ومن البول والأذى .
- ٢٥ - حبس الشمس والقمر يوم القيامة .
- ٢٦ - إثبات الجزاء بالحسنات والسيئات .
- ٢٧ - إثبات وجود الجنة والنار .
- ٢٨ - ذكر أبواب الجنة وأبواب النار وما بين كل بابين من بعد المسافة .
- ٢٩ - إثبات نعيم الجنة .
- ٣٠ - إثبات الجماع في الجنة .
- ٣١ - أنه ليس في الجنة توالد .
- ٣٢ - ترك الجواب لمن سأل عن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى .
- ٣٣ - المباينة على التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومفارقة المشركين .
- ٣٤ - أنه لا يجني جان إلا على نفسه .
- ٣٥ - الثناء على من يستحق الثناء .
- ٣٦ - فيه فضيلة لأبي رزين وصاحبه؛ حيث حلف النبي ﷺ أنهما من أنقى الناس في الأولى والآخرة .
- ٣٧ - حسن الأدب مع الأكابر .
- ٣٨ - القطع لكل مشرك بالنار .
- ٣٩ - سماع أهل القبور وكلام الأحياء .
- ٤٠ - أن طاعة الأنبياء هداية، ومعصيتهم ضلالة وهذا معلوم من الدين .
- إنحاف الجماعة [٢٨٥/٣ - ٣٥٢] يتصرف .